

استقواء إيراني موجّه للخارج يقابله استعطاف لمغازلة الداخل

طهران تتوجس من انتفاضة اللبنانيين والعراقيين ضد مفهوم الدولة الرديفة



تتظاهر إيران في الأشهر الأخيرة بالقوة وبجاهزيتها للتمرد لا فقط على خصمها اللدود الولايات المتحدة، بل على المجتمع الدولي بأسره، أولاً بتوجهها إلى استئناف تخصيب اليورانيوم في موقع فوردو تحت الأرض وانتهاك اتفاقها مع القوى الكبرى، وثانياً بالتصعيد وخوض حرب كلامية ضد باريس التي تصف برفقة لندن وقوى أخرى خطوات طهران بالخطيرة والمهددة للإخلال بالأمن الدولي. لكن في كل هذا يطرح سؤال أساسي عن مردّ خروج الرئيس حسن روحاني ليقول للإيرانيين إن بلاده تعيش أصعب أيامها منذ اندلاع الثورة الإسلامية عام 1979، إنها بوادر تخوفات من انتفاضة الداخل في جو إقليمي متّسم بعدة تغيرات خاصة في ما تعتبره معانقها في لبنان والعراق.

طهران - تنتهج إيران في الأسابيع الأخيرة مع تبدل العديد من المتغيرات الإقليمية وكذلك بالتزامن مع مضيها في انتهاك الاتفاق النووي بتفعيل أنشطتها النووية، خطاباً سياسياً قائماً على متناقضين، إذ باتت قيادتها تروج للغة الاستقواء في تعاملها مع الخارج، فيما تحاول في المقابل السير في تسويق خطاب مغاير للداخل الإيراني قوامه المظلومية والاستعطاف.

وفي الوقت الذي يتوخى فيه النظام الإيراني برأسيه الإرشادي للثورة -الذي يمثل المرشد الأعلى علي خامنئي وجهان الحرس الثوري- وكذلك التنفيذي لمبادئ النظام عبر الرئيس حسن روحاني، خطاباً مزوقاً بنبرة الاستقواء وتحدي المجتمع الدولي والضرب بعرض الحائط كل المواثيق الدولية وخاصة الاتفاق النووي عبر تفعيل تخصيب اليورانيوم مجدداً، تذهب هذه القيادة لاستهداف الداخل الإيراني عبر إبراقها بخطاب مهادن وفعم بمفردات المظلومية.

يأتي هذا الخطاب الناعم والمغاير لما تريد إظهاره طهران من قوة للعالم، في الوقت الذي تشتعل فيه انتفاضات في منطقة الشرق الأوسط ضد ما كرسته طهران من نزعات وتنظيمات طائفية خاصة في العراق ولبنان. وتذكر إيران أن تداعيات ما قد يحصل من انتفاضات في العراق وإيران والتي تطالب صراحة بإسقاط النظام، قد تنعكس بصفة مباشرة على الداخل الإيراني المتململ والمحاصر بأوضاع اقتصادية صعبة، هي نتائج لسياسات نظام الولي الفقيه الذي يشن حرباً بالجملة مع دول الجوار في منطقة الشرق الأوسط ومع القوى الكبرى وعلى الولايات المتحدة التي ضيّقت الخناق على طهران خاصة بتواتر فرض عقوبات اقتصادية عليها.

ولئن تلقى النظام الإيراني والدوائر المقرّبة منه بآلية ما تم تداوله في بعض التقارير الأميركية لدى تعليقها على تمرد إيران وتطاولها بتفعيل أنشطتها النووية، على أن هذه الخطوة تأتي كنتيجة لفشل سياسات واشنطن ووصول عقوباتها إلى الحدود القصوى، فإن طهران باتت تعرف أنها في وضع مخرج قد يجعل خطر الثورة على نظامها

نظام محاصر بتغييرات إقليمية

بالتزامن مع محاصرة المحتجين لمبنى القنصلية الإيرانية في كربلاء وإحراق العلم الإيراني.

ويشدد أقرب المتابعين لما يحدث في العراق على أن حملات المقاطعة للبضائع الإيرانية لقيت تجاوباً وتفاعلاً من قبل السكان خاصة في ما يتعلق بالبضائع التي توجد لها بدائل وهي رسالة فهمتها طهران بشكل جيد.

إن إيران تجد نفسها اليوم تتخبط في تناقضات بالجملة، حيث باتت تدرك الآن أنه لم يعد بوسعها أن تقنع مواطنيها إن اندلعت احتجاجات بان من يقف وراء ضرب استقرارها هي مؤامرات خارجية كما علنت ذلك في عام 2018 بترويجها أن دونالد ترام استغل الاحتجاجات لإسقاط نظامها، وفي كل هذا أضحت تسابق الزمن لاستباق المطالبة بالبحث عن أسواق بديلة لخطاب قومي خالٍ عن عاطف الإيرانيين ولا يذهب إلى عمق مشاكلهم الاجتماعية والاقتصادية الحقيقية.

ترامب "إيران أفلست تقريباً، ووضعها الاقتصادي صعب جداً"، مضيفاً أنه "على قادة إيران وقف دعمهم للإرهاب من أجل إنقاذ بلدهم".

وتضع إيران وهي تسوّق خطابها الناعم لمواطنيها، عام 2018 الذي كان احتجاجياً بامتياز في الكثير من محافظات، لأنها تدرك أن ما يحصل في كربلاء قد تنتقل عدواه إلى داخل حدودها خاصة في ظل ما أظهره سكان هذه المحافظة المحسوبة على طهران من تمرد تام عليها لا فقط من الناحية السياسية بل أيضاً من الناحية الاقتصادية.

وتابع قادة إيران التطور اللافت في كربلاء، خاصة بعدما نفذ سكانها حملة مقاطعة للبضائع الإيرانية في العراق امتدت إلى عدة محافظات منها النجف للمطالبة بالبحث عن أسواق بديلة لاستيراد العديد من البضائع. ورفع المتظاهرون لافتات تحرض على المساهمة في حملات المقاطعة

وتعد انتفاضة العراقيين نموذجاً هاماً يمكن التوقف عنده لمعرفة ما يخفي إيران، فقد حقق العراقيون خلال أسابيع إنجازات سياسية هامة، حيث التحمت مختلف الطوائف والأديان والألوان وفي مقدمتها الشيعة خاصة في محافظة كربلاء التي هُف المتظاهرون فيها على خامنئي والملاي وحكام طهران، فكان شعارهم الرئيس هو "إيران برّة برّة، كربلاء حرة حرة" في لحظة تناسوا فيها الطائفية وكل شعارات المرشد السابق للثورة الإيرانية آية الله الخميني عزاب الانتجار بالدين في المنطقة والذي خاطب سكان كربلاء عام 1982 بخطاب منمق قال فيه "طريق القدس يعبر من كربلاء".

إن النظام الإيراني يحاول الآن المحافظة على حزامه الشعبي الداخلي وهو يعلم أنه بدأ ينهار شيئاً فشيئاً. فإيران باتت في أصعب وضع اقتصادي يصارع لتجنب حافة الانهيار كما قال قبل شهرين الرئيس الأميركي دونالد

الإسلامي المزعز لاستقرار منطقة الشرق الأوسط قد يأتي من الإيرانيين أنفسهم وليس من الخارج وضغوطاته.

إن ما يخيف إيران في بلدان تعتبرها منذ عقود منضات أساسية للتمدد في منطقة الشرق عبر حزب الله في لبنان والأحزاب الشيعية في العراق، ليس فقط تلك الشعارات السياسية التي رفعها المتظاهرون والتي ترفض بصماتها في العراق، بل أيضاً ما يخلق هذا الجو المحتقن من أرضية ملائمة تحيي الاحتجاجات في إيران التي مرّت بـ"بروفا" في 2018 كادت تطيح بالنظام وترمي به في مزلّة التاريخ.

لقد بان بالكاشف بعد أسابيع من الجولة الجديدة لاحتجاجات العراقيين واللبنانيين ضد الفساد والطبقة الحاكمة أن هذين الشعبين هما الآن بصدد القيام بثورة حقيقية على التحديات المرفوعة في ما يتعلق بمشروع إيران الرامي لضرب مفهوم الدولة ومؤسستها وخلق دولة رديفة.

شتاء مُلتهب يداهم كل ركن في العالم

في كل من العراق ولبنان (أو حتى في تشيلي وهونغ كونغ وهاتي وفرنسا). حيث قال أحد المحتجين اللبنانيين لهيئة الإذاعة البريطانية، في إشارة إلى الرسوم اليومية التي ألغيت بعد أن أعلن وزير الإعلام اللبناني جمال الجراح عن موافقة الحكومة على فرضها على الاتصالات الصوتية التي تمر عبر تطبيق "واتساب" والتطبيقات الأخرى المماثلة "نحن لسنا هنا بسبب واتساب، نحن هنا بسبب كل ما يحدث".

قدم المتظاهر العراقي، حيدر جلال، البالغ من العمر 21 عاماً بياناً يفضل فيه التغيير الذي قد يعتبره مقبولاً. وقال "أمل أن أشهد التخلص من جميع الأحزاب التي شاركت في العملية السياسية من سنة 2003 إلى اليوم".

ماذا يحدث ولماذا؟ قال مايكل هيني، وهو باحث في كلية العلوم الاجتماعية والسياسية بجامعة غلاسكو "ازدادت الاحتجاجات وازدادت التغطية التي تنقلها، مما يعني أن المتابعين أصبحوا يعرفون أكثر. وبشارك العديد من المتصلين بالإنترنت المعلومات عبر وسائل التواصل الاجتماعي ويتواصلون مع بعضهم البعض بشأن الاحتجاجات".

هل يعني هذا أن احتجاجات العراق اندلعت تقليداً لحظي لبنان القريب؟ وأن لبنان قلّد ما سمع عنه في هونغ كونغ التي اندلعت الاحتجاجات فيها قبل خمسة أشهر؟ قد يكون

العليا في إسبانيا أحكاماً بسجن تسعة من قياديي حركة الانفصال في كتالونيا لدورهم في محاولة الانفصال عن إسبانيا سنة 2017. وركزت الاحتجاجات في مصر على أفة الفساد بعد أن نشر رجل أعمال مقاطع فيديو على يوتيوب من مناهة الذاتي في أوروبا، حيث زعم تغيير الأموال العامة ودعا المصريين إلى تحرير بلادهم عبر الإطاحة برئيسهم عبدالفتاح السيسي. يغيب هذا الوضوح

أخذت المحكمة قراراً بإلغاء السقف المحدد لعدد الفترات الرئاسية. وأكد البعض أن مورليس فاز إثر تزوير الانتخابات، كما قالت منظمة الدول الأميركية التي راقبت الانتخابات إنها وجدت أدلة على التلاعب بالبيانات، مما يجعلها غير قادرة على التصديق على نتائج الاقتراع. وفي خطاب تلفزيوني، أعلن مورليس استقالته من منصبه. كما استقال نائبه الفارو غارسيا لنيرا، ورئيس مجلس الشيوخ أدريانا سالفاتيرا. وخرج المتظاهرون إلى الشوارع للاحتفال بما حققوه.

في مدينة برشلونة الإسبانية، خرج المتظاهرون إلى الشوارع بعد أن أصدرت المحكمة

فاقم غياب المساواة الاقتصادية الغضب الشعبي في العراق ولبنان وتشيلي، واشتعلت التحركات المتشابهة استجابة لعوامل مختلفة لا تتجاوز كل واحدة منها البلاد التي انطلقت الاحتجاجات داخلها. ويمكن أن نحدد قاسماً مشتركاً بين المناطق المشتعلة رغم هذه الاختلافات، فعلى سبيل المثال، يشترك كل من العراق ولبنان مع هاتي في مشاعر الغضب التي غذتها سنوات من سوء الحكم والفساد داخل الهيكل السياسي.

تبدو الاحتجاجات المنتشرة في جل أنحاء العالم اليوم مثيرة للاهتمام، إذ تشترك في افتقارها للتنظيم والقيادة الواضحين. تأخذ التجمعات ذات الأحجام المختلفة والشدة متفاوتة أشكالاً عشوائية. في بعض الأحيان، كما نلاحظ في لبنان والعراق، يغني المحتجون ويرقصون على أغاني الأطفال مثل "بيبي شارك" بدلاً من النشيد الثوري.

وبدأت هذه الموجة عندما قرر محتجون غناء هذا المقطع الشهير لتهدئة طفل صغير حوصرت سيارة أمه وسط مظاهرة صاخبة وسط العاصمة اللبنانية بيروت.

وتبقى جل الأهداف التي تغذي التحركات واضحة، باستثناء تلك التي يطالب المحتجون بها في بوليفيا وإسبانيا وربما مصر. ففي بوليفيا، نتجت الاضطرابات عن فوز الرئيس إيفو مورليس بولاية رابعة بعد أن

وتجرب الرئيس حسن روحاني هذه اللغة المتوجسة من اضطرابات مرتقبة قد تحصل في إيران، عبر توجيهه الأختين إلى الشعب الإيراني بكلمات استعطاف قال فيها، "إن بلادنا تعيش أصعب أيامها منذ اندلاع الثورة عام 1979".

وأضاف، خلال لقائه مسؤولين من ولاية كرمان جنوبي البلاد، أن إيران لم

رشمي روشان لال
كاتبة في العرب ويكلي

تمتاز ظاهرة "الشارع العربي" الأسطورية، كما وصفها محللون غربيون للتعبير عن المشاعر السلبية التي تطفئ على الرأي العام، عبر العديد من الدول التي لا تنتمي إلى منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

يشغل جوناثان شانز، الذي كان محللاً لشؤون تمويل الإرهاب في وزارة الخزانة الأميركية، منصب النائب الأول لرئيس مؤسسة الدفاع عن الديمقراطية. وقد كتب أن الشارع العربي لم يعد مجرد ظاهرة في مكان واحد. لذلك، يمكن للمرء أن يستنتج أن الشارع العربي الافتراضي أصبح موجوداً في أوروبا وشرق آسيا وأمريكا الجنوبية، أين زعزت المشاعر العامة السلبية الساحة السياسية.

